المهمل في علم العروض

أ.بوحموم حورية

لقد نظر العلماء إلى اللغة على أنها كل متكامل و عملوا على رد الانتظام إلى النظام و ذلك بحملهم الفروع على الأصول، و كشفهم عن القواعد التحويلية التي تخرج بها الفروع المستعملة عن الأصول ، و من هؤلاء العلماء الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي نقل عنه سيبويه معظم الآراء و المفاهيم النحوية، و الذي ينسب إليه علم العروض و هذا العلم الذي أخرجه الخليل يكاد يكون متكاملا لأن من جاء من بعده من العروضيين لم يستطيعوا أن يزيدوا على عروضه أي زيادة تذكر ، حيث وضع من خلاله القواعد الحاكمة لميزان الشعر وموسيقاه.

1-ماهية الأصول المهملة عند الخليل (ت 175 هـ)

نظر الخليل بن أحمد الفراهيدي لنظام الإيقاع الشعري نظرة تجمع أصل الوضع (النظام) مع الاستعمال، فقد أسس نظريته العروضية على ما هو موجود و تطلع أيضا إلى ما يمكن وجوده وهذا ما جعله يكشف عن البحور المستعملة، و البحور المهملة هذه البحور التي لم تقل العرب على وزنها شعرا رغم أنها تستخرج من الدوائر العروضية على طريقة الفك مثلها مثل البحور

المستعملة الأخرى وعن نظرة الخليل إلى العروض يقول الباحث خلفان بن ناصر : " حد العروض عنده منوط بفهم يأخذ من الرياضة تجريدها ومن اللغة واقعها و من الموسيقى فنها " 1

و يصف الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح عمله بقوله إنه : " يستفرغ جميع التراكيب التي يتكون منها بحر من البحور ، و يحصي بذلك جميع البحور مستعملها و مهملها ، و ميز بينها بإعطاء البحر المستعمل لقبا خاصا، و بنى هذه التراكيب الإيقاعية على توالي المتحرك و الساكن ، و سمى ما يتركب من هذه الأصول أجزاء، و استعمل كرموز نفس الحروف التي استعملها لبناء الكلمة ، أي الفاء و اللام، مع بعض الزوائد و احتاج هاهنا إلى خمس دوائر حتى يستفرغ جميع هذه القسمة التركيبية الخاصة، و السبب في كل ذلك أنه لاحظ أن البحور يمكن أن تفرغ بعضها من بعض إذا توافقت أجزاؤها بتغيير مفكها داخل كل جزء ".2

عندما نظر الخليل إلى اللغة فوجدها تتكون من تسعة و عشرين حرفا ، و حدد أبنيتها من الثنائي الى الخماسي، ثم قلب الحروف العربية في أبنية اللغة فنتج لديه إمكانات اللغة العربية من المفردات، ثم وضع المستعمل من هذه المفردات ، و أشار إلى ما لم يكن مستعملا بالمهمل ، و قام بنفس العملية أثناء حصر أوزان الشعر

العربي فلما نظر إلى الكلام العربي " وجده يتكون من متحرك و ساكن، ولأن الكلمات العربية قد تكون ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية أو سداسية أ وسباعية، فقد استخدم الخليل نظام التقليب للساكن و المتحرك في الثنائي و الثلاثي والرباعي والخماسي، و السداسي و السباعي، و سمى هذه الكلمات بالتفعيلات وعينها موافقة للميزان الصرفي بعد أن ألغى الكثير من التفعيلات الناتجة من التقليب لأنّ اللغة ترفضها، و هذه التفعيلات هي التي تحتوي على ثلاثة سواكن أو أكثر و التي تبدأ بساكن أو التي يوجد بها ساكنان في وسطها و ليس في آخرها أو التي تحتوي على خمسة متحركات متتالية فأكثر "3

إذن فعملية التمييز بين الساكن و المتحرك هو الأصل الذي اعتمده الخليل في وضعه للتفاعيل بعد أن قام بعملية التقليب الدوراني بينهما، و فيما يلي توضيح لهذه التقليبات بين الحركات والسواكن التي تكشف التفعيلات المستعملة و إهمال ما خرج عن القواعد المذكورة سابقًا.

فالتفعيلات الثنائية افتراضاتها كما يلي : (0 /) و(//)

و الثلاثية افتراضاتها كالتالي:

(/ / /).، (0 0 /)، (/0/)،(0//)

و الرباعية افتراضاتها كما يلي:

(0، و(/ / 0 /) ، و(/ 0 / /) ، و (0 / / /) و .(/ / / /)

(0و(/ 0 / 0 / /)

و الخماسية ممكناتها كمايلي:

(/ 0، و(/ 0 / / /) ، و (/ 0 /) ،(0 / 0)، و / / / /)

(0، و(/ 0 / / 0 / /)

(0 / / /).، و(0 0 /) ، و(/ / 0 0 / 0 / / /) ، و / 0 /)

/

و السداسية افتراضاتها:

(0 //، و(// 0 / / / 0 /) ، و(/ / / / 0 /) ، و / 0 /)

(0، و(/ 0 /0/ 0 /)

،(0 / 0 /)، و(0 / / 0 / /) ، و(/ / 0 / / /) ، و 0 / /)

(00 /، و0 / / /)

(0 // 0/).، و / / / 0 /) و(/ / / 0 / /) ، و0 /)

و السباعية افتراضاتها كما يلي:

(/ 0 / 0 / /، و(/ 0 0 / 0 / 0 /) ، و(0 / 0 / 0 /) ، و

(/ 0 / 0 // 0 /)

،(00 / / 0)، و(/0 /// 0 / / /) ، و(0 /// 0 /) ، و /)

(/ / / / / 0، و0 /)

(0 / 0 /، و(/ / / 0 / / /) ، و(/ 0 / 0 / /) ، و / / /)

/ 00و0 / / /)

(0 / /، و(/ / / / 0 / /) ، و(/ / 0 / / / 0 / /) ، و / /)

(0،0 / 0 / /)

(/ / 0، و(0 / / / / / /) ، و(/ 0 / / 0 / 0 /) ، و 0 /)

(00 / /، و0 / /)

(/ / / / / 0 / 0 و ،(/ / 0).

و يتضح من هذا أنّ التفعيلات الصحيحة عند الخليل تكون إمّا خماسية أو سباعية فالرباعية و الثلاثية ناتجة من الخماسية، و بعض الرباعية و الخماسية والسداسية ناتجة من السباعية بسبب نقض فيها و بالتالي تكون التفعيلات المستعملة فعليّا إمّا تفعيلتان خماسيتان (0//0/) و (0/0//)، وست تفعيلات سباعية (/ 0 / / 0 / 0 /) ، (/0/0/0/) ، و (///0//0)، و (//0///0)، و (/0/0/0/) ، و (/0/0//0).

و عندما انتهى الخليل من تحديد التفعيلات * المستعملة، و التفعيلات المهملة عن طريق التقليب الدوراني بين الأسباب و الأوتاد قام بعملية التقليب بين هذه التفعيلات مرة أخرى فحصل على إمكانات اللغة من الأوزان الشعرية المستعملة منها و المهملة أيضًا و أطلق عليها إسم البحور الشعرية * و عددها وعدَّ الخليل : « خمسة عشر بحرًا، يقول ابن رشيق القيرواني في هذا الشأن أجناس الأوزان فجعلها خمسة عشر جنسًا على أنّه لم يذكر المتدارك و هي عنده الطويل، و المديد، و البسيط في دائرة، ثم الوافر و الكامل في دائرة، ثم الهزج و

الرجز و الرمل في دائرة، ثم السريع و المنسرح و الخفيف و المتصارع و المقتضب و المجتث في دائرة، ثم المتقارب وحده في دائرة " 4

أمّا عند الأخفش الأوسط فالبحور ستة عشر بحرًا و ذلك لأنه زاد بحرًا على الخليل سماه المتدارك، و لم يذكر الخليل هذا البحر لأمرين اثنين كما يقول فأبو الحسن العروضي يعلل بأمرين اثنين عدم ذكر : « الدكتور مرعي خليل الخليل لهذا البحر:

أولهما :ندرته عند العرب لدرجة تجعل من المحتمل أن يكون الخليل لم يسمع به وهذا مستبعد في نظرنا خاصة إذا تذكرنا أنَّ الانتقادات التي وجهت إلى الخليل كانت حول إثبات النادر كما هو الحال بالنسبة للمقتضب و المجتث و المضارع فضلاً عن استبعاد جهل الخليل و هو العالم ... بما نظمته العرب على هذا البحر بل روي انَّ الخليل قد نظم على هذا البحر قصيدتين إحداهما على فَعِلُن و الأخرى على فعْلن.

الثاني :أنّ الخليل و هو البنيوي بامتياز يرى في الوزن الجديد فسادا في نفس بنائه، إنّه القطع، فاعلن تصبح فاعل و تنقل إلى فعلن بحذف ساكن الوتد المجموع، فهو تغيير يطرأ على الوتد و ليس على السبب، أي إنه علة و ليس زحافًا، أي يقع في العروض و الضرب و ليس في الحشو ... فإذا أضفنا إلى ذلك ندرة هذا البحر و قلته التي بررت للخليل تجاهله، صار واضحًا أنَّ الخليل قد انتبه لهذا البحر و لكنه لم يذكره في دوائره " 5

و مثلما بنى الخليل فكرة البحور الشعرية و معرفة التفعيلات عن طريق التقليب الدوراني أيضًا أسس الدوائر العروضية على فكرة الاحتمالات و البحث في الممكن مما هو مهمل و مستعمل في القياس و قسمة التركيب و هي خمس دوائر.

1-دائرة المختلف :و تشمل الطويل -و المديد -و البسيط -و المستطيل -و الممتد -و الأخيران مهملان

2-دائرة المؤتلف :و تشمل الوافر -و الكامل-و الأخير مهمل.

3-دائرة المجتلب :و تشمل الهزج -و الرجز -و الرمل.

4-دائرة المشتبه :و تشمل السريع -و المنسرح -والخفيف -و المضارع – والمقتضب -و المجتث -والمنسرد -و المطرد -و الثلاثة الأخيرة مهملة

5-دائرة المتفق :و تشمل المتقارب -و المتدارك

و قد جعل الخليل بناء هذه الدوائر على أصول البحور واصطنع طريقة الفك، و هي أن تفك التفعيلات أجزاءً، وأجزاء التفعيلات هي الأسباب و الأوتاد لتستخرج البحر من الدوائر .و طريقة الفك كما أوردها الخليل و العروضيون من بعده هي:

1-دائرة المختلف و هي:

/ / 0 / - / / 0 / 0 / 0 / / - 0 / 0 / / - 0 / 0 / 0 / / - 0 / 0 / 0.

أ -فإذا بدأنا بالوتد المجموع الذي يليه السبب الخفيف، لا الذي يليه السببان

الخفيفان نحصل على وزن الطويل الذي هو فعولن - مفاعيلن -فعولن-

مفاعيلن

ب -و إذا بدأنا بسبب خفيف واقع بين وتدين مجموعين كان لنا وزن المديد الذي هو :فاعلاتن -فاعلن - فاعلاتن -فاعلن

ج -أمّا إذا بدأنا من الوتد المجموع الذي يليه سببان خفيفان فنحصل على وزن

المستطيل) مهمل (الذي هو :مفاعيلن -فعولن - مفاعيلن -فعولن

د -و اذا بدأنا بسببين فإننا نحصل على وزن البسيط الذي هو :مستفعلن -فاعلن- مستفعلن -فاعلن.

ه -أمّا إذا بدأنا من السبب الخفيف الذي يليه الوتد المجموع فكان لنا وزن الممتد) مهمل (الذي هو :فاعلن - فاعلاتن -فاعلن -فاعلاتن

2-دائرة المؤتلف و هي:

0 / / / 0 / / 0 / / / 0 / / 0 / / / 0 / /

أ -إذا بدأنا بالوتد المجموع فكان لنا وزن الوافر وهو :مفاعلتن -مفاعلتن- مفاعلتن

ب -و إذا بدأنا بالفاصلة الصغرى كان لنا وزن الكامل الذي هو :متفاعلن- متفاعلن -متفاعلن.

ج -أمّا إذا بدأنا بالسبب الخفيف الذي يليه الوتد المجموع حصلنا على وزن الوافر) مهمل (الذي هو : فاعلاتك -فاعلاتك -فاعلاتك.

3-دائرة المجتلب :و هي:

/ / 0 / 0/ 0 / / 0 /0 / 0 / / 0 / / 0 /0

أ -إذا بدأنا بالوتد المجموع كان لنا وزن الهزج الذي هو :مفاعلين -مفاعيلن-

مفاعيلن.

ب -و إذا بدأنا بالسببين الخفيفين كان لنا وزن الرجز الذي هو :مستفعلن-

مستفعلن -مستفعلن

ج -أمّا إذا بدأنا بالسبب الخفيف الذي يليه الوتد المجموع حصلنا على وزن الرمل الذي هو :فاعلاتن - فاعلاتن -فاعلاتن.

4-دائرة المشتبه و هي:

/ 0 / 0 / / 0 / 0 / 0 / / 0 / 0 / 0 / 0 /

أ -إذا بدأنا بالسببين الخفيفين اللذين يليهما وتد مجموع كان وزن السريع الذي هو :مستفعلن -مستفعلن - مفعولات.

ب -و إذا بدأنا بالسبب الخفيف الذي يليه وتد مجموع فالسبب خفيف، فالتفعيلات

المماثلة لهذه السلسلة هي تفعيلات المتئد) مهمل (و الذي هو :فاعلاتن- فاعلاتن - مستفع لن.

ج -و إذا بدأنا بالوتد المجموع فالسببين خفيفين فإن التفعيلات المماثلة لهذه السلسلة هي تفعيلات المنسرد) مهمل (و الذي هو :مفاعيلن -مفاعيلن -فاع لاتن.

د -و إذا بدأنا بالسببين الخفيفين اللذين يليهما الوتد المجموع ثم يليها السببان

الخفيفان حصلنا على المنسرد الذي هو :مستفعلن - مفعولات -مستفعلن.

ه -و إذا بدأنا بالسبب الخفيف الذي يليه الوتد المجموع فالسببان خفيفان كان

الخفيف الذي هو :فاعلاتن -مستفع لن -فاعلاتن

و -و إذا بدأنا بالوتد المجموع الذي يليه السببان الخفيفان فالوتد المفروق كان

المضارع الذي هو :مفاعيل -فاع لاتن -مفاعيلن.

ز -و إذا بدأنا بالسببين الخفيفين فالوتد المفروق كان المقتضب الذي هو: مفعولات -مستفعلن -مستفعلن.

ح -و إذا بدأنا بالسبب الخفيف فالوتد مفروق والسبب الخفيف كان المجتث الذي هو :مستفعلن - فاعلاتن -فاعلاتن.

ط -و إذا بدأنا بالوتد المفروق فالسببين الخفيفين كان المطرد) مهمل (الذي هو:

فاع لاتن -مفاعيلن -مفاعيلن.

5-دائرة المتفق و هي:

0 / 0 / / 0 / 0 / / 0 / 0 / / 0 / 0 / /

أ -إذا بدأنا من الوتد المجموع كان المتقارب الذي هو :فعولن -فعولن -فعولن- فعولن.

ب -و إذا بدأنا من السبب الخفيف الذي يليه الوتد المجموع كان المتدارك الذي هو :فاعلن -فاعلن -فاعلن - فاعلن.

و الملاحظ أن الخليل جعل لكل أصل دائرة بحرًا يبتديء بوتد مجموع و الأمر نفسه عندما ميز التفاعيل الأصول من التفاعيل الفروع، و السبب واحد دائما و يتمثل في أنّ الوتد اقوى ن السبب و لذا فهو احق في التقديم، إلا أنه خالف القياس في الدائرة الرابعة، فقدم السريع و أوله (مستفعلن) أي سبب خفيف، و لم يقدم المضارع و أوله (مفاعلين) أي وتد مجموع و من ذلك ما ذهب إليه السكاكي و اما تقديم السريع فلأن دائرته تضمنت وتدًا معروفًا بخلاف سائر : « بقوله الدوائر، و ارتكاب المخالف لا يصار إليه إلا لعذر، و انه في السريع أكمل منه في غيره لأن أركان السريع ممتنع أن تؤلف على وجه

من الوجود تأليفًا يخرج الوتد المفروق عن كونه مفروقًا إلى كونه مجموعًا أو سببًا خفيفًا بخلاف ما سواه...

و إما استدعاء المضارع فيها التقدم بجهة أن ركنه الأول أتَّم، فضعف للزوم النقصان له في الأجزاء حين لا يستعمل إلا مجزوءًا مراقبا " 6 ومراده ان تفعيلة)مفاعيلن (التي يبتدئ بها المضارع لا تأتي سالمة قط، فإما أن تأتي مقبوضة، و اما مكفوفة، و لما بطل المضارع أن يكون أولاً لكراهتهم إبتداء الدائرة ببحر يكون أوله مثل هذا كان السريع أولى بالتقديم.

هذه هي البحور الشعرية كما افترض الخليل أن تكون في أصل الوضع، إلاّ انّ الاستعمال قد أفرز له أشياء أخرى تتمثل في العدد الكبير للأعاريض و الأضرب لمختلف البحور الشعرية و هذا ما جعل محمد أحمد وريث يرى بأنّ كل البحور في حقيقتها لا « ضرب من تلك الأضرب يمثل بحرًا مستقلاً بنفسه لأن تقف عند الخمسة عشر، أو الستة عشر أو السبعة عشر أو الثمانية عشر بحرًا، و إنّما تشكل في مجموعها سبعة و ستين بحرًا أو نظيرًا إيقاعيًّا بل أكثر من هذا العدد إذا لم تهمل أصول بعض الأبحر التي لم تستعمل على هيئتها المفترضة لها 7»

أضف إلى ذلك ان الدوائر العروضية عند الخليل و العروضيين الذين جاؤوا بعده قد سمحت لهم بالكشف عن

ما أهمل من بحور الشعر و عددها ستة بحور مهملة، بالإضافة إلى بعض الأبحر التي جاءت في الاستعمال مجزوءة وجوبًا كالمديد و الهزج و المضارع، و المقتضب و المجتث و حتى الطويل فإنه لم يستعمل في الواقع الشعري على الصورة التي جاء عليها في الدائرة العروضية إلا نادرًا.

و الملاحظ على عمل الخليل في وضعه لهذه الدوائر أنَّه استخدم القياس في تحديده للأصول و ما يخرج عنها من فروع و أنه اعتمد كذلك قسمة التركيب من أجل ان يحصر عدد التفاعيل و عدد أوزان بحور الشعر العربي مما ساعده على اكتشاف المستعمل و المهمل و هذا ما يؤكد بأنّ اللّغة العربية شعرًا و نثرًا من وضع واضع حكيم.

2- مفهوم المهمل و طرق الاستدلال عليه

إنّ إيمان النحاة القدماء بحكمة واضع اللّغة كان الموجه لهم في إجراء أقيستهم و تقديراتهم و استنباط عللهم، حتى قادهم الأمر إلى جعل النظام اللّغوي كله أصولاً و فروعًا تحمل عليها تلك الأصول و تفسر بها، و قبل أن ندرس طرق التدليل على ما أهمل من الأصول الممكنة التي رفضت في الاستعمال لابد أن نحدد مفهوم المهمل، و يعني عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح "

ما يقتضيه العقل و القياس خاصة، و لم يأتِ في الاستعمال 8"

فالمهمل هو كل ما يخرج في أصل الوضع و يقتضيه العقل البشري و لكنه لا يخرج إلى الاستعمال، لأن للإستعمال قوانين و عوارض يخضع لها فتغير الأصول و تخرج و ينطق بها محولة لأنها" أصول تبني عليها الفروع غالبًا عن الأصول عن طريق قواعد تحويلية تجري عليها، كقواعد الزيادة، و الحذف، و التقديم و التأخير و الاستبدال في الموضع و الاجراء عليه في مستوى الجملة، و كالإعلال و الابدال و الادغام و القلب المكاني في مستوى الصيغة و الكلمة، فتكون هذه الفروع مستعملة و أصولها غير مستعملة، إلا أن هذه الأصول كانت محتملة و متوقعة في القياس لو حملت على نظائرها مما لم يغير"9

إذن فالقياس هو العملية العقلية التي مارسها النحاة لتجريد صورة هذه اللّغة باستنتاج قواعدها و الكشف عن القوانين التي تنتظم عليها مفرداتها و تراكيبها فاستنتجوا الكلمات النحوية عن طريق القياس بالجمع بين الأشباه و النظائر، و إجراء بعضها على بعض و استنتاج الجامع بينهما و الأمر نفسه جرى مع الخليل في علم العروض و هو يحصر أوزان الشعر العربي المستعملة و المهملة و يعمل على ردّ الفروع إلى الأصول اعتمادًا على فكرتي

الزحاف و العلة، فالتفاعيل خماسية كانت أم سباعية تصيبها تغييرات إمّا بالحذف و إمّا بالاسكان أو بهما معًا فتخرج إلى الاستعمال منقوصة الحروف أو متغيرة حركات الأجزاء طلبًا للإستخفاف لأن العرب من عاداتها أن تحذف من الكلام ما يكثر دورانه على ألسنتهم تحذفهم لنون يكن لتصبح يك و في هذا الشأن يقول أبو الحسن العروضي: " إعلم أنَّ الزحاف وقع في الشعر استخفافا لأن العرب من شأنها أن تحذفَ ما كثر استعمالها له في الكلام نحو قولهم :لم يك، و لم يدر -فلما كانوا يستعملون ذلك في الكلام المنثور كانوا إليه في الشعر الموزون و الكلام المنظوم أحوج، و هم إلى ما خف وزنه و عذب ذوقه و حسن مسموعه أميل ...و قد جاء في الشعر أوزان مزاحفتها أحسن في السمع من تامتها فإذا جاء منها شيء على التمام نَبَا عنه

الطبع، و لم تكن له عذوبة في السمع، حتى يظن من لا معرفة له بالأوزان أنه مكسور " 10

فكثرة دوران الزحاف في الشعر العربي عند أبي الحسن العروضي علته الاقتصاد و طلب الخفة في المنظوم و المنثور من كلام العرب، و قد قسم العروضيون الزحاف إلى مفرد ومزدوج، فالزحاف المفرد عند عبد ربه الأندلسي زحافان، فزحاف يسقط ثاني السبب الخفيف، و زحاف يسقط ثاني السبب الثقيل ....." 11

و تذكر مختلف كتب العروض أنّ الزحاف المفرد يتعلق بالحرف الثاني، و الرابع، و الخامس، و السابع، فحرف يدخله الزحاف بثلاثة إعتبارات إمّا بحذفه ساكنان، و إمّا بحذفه متحركًا، و إمّا بتسكينه متحركًا، و من هنا نلاحظ بأنّ البحور الشعرية ليست كلها صالحة لأن تزاحف أجزاءها كالمديد مثلاً، لأن هذا الباب كله، أصله ثمانية أجزاء و قد سقط فيه جزءان فلذلك لم يجز في الزحاف. ويدعو الأخفش أيضًا إلى ذلك بقوله : " لم يجز فيه الزحاف لأنه قليل، و إنما يحذفون من الأشياء التي تكثر في كلامهم و يكثر استعمالهم لها " 12

فهذا عن العلّة أمّا الزحاف فلا يختص بثواني الأسباب وحدها و انما تقع في العروض أو الضرب و هي لازمة في جميع أبيات القصيدة أي أنها إذا وقعت في البيت الأول لزمت بقية الأبيات الأخرى و هي قسمان :علل بالنقص و علل بالزيادة " فعلل الزيادة تكون زيادة حرف واحد أو حرفين في بعض الأضرب،بحيث يمكن أن يزاد حرف واحد على ما آخره وتد مجموع فتصير فاعلن مثلاً فاعلان، و يمكن أن يزاد سبب خفيف على ما اخره وتد مجموع، فتصير فاعلن مثلا فاعلاتن، و يمكن ان يزاد حرف ساكن على ما اخره سبب خفيف فتصير فاعلاتن فاعلتان, أمّا علل النقص فتكون بنقصان حرف أو أكثرمن العروض والضرب أو إحداهما، و أحيانًا لا يرد البحر إلا

بهذا النقصان كما في الوافر، حيث أنّ أصله في الدائرة مفاعلتن، مفاعلتن، مفاعلتن ، فتفعيلة مفاعلتن و هي تفعيلة العروض و الضرب دخلها زحاف فأسكن خامسها المتحرك فصارت مفاعلتن ثم دخلها الحذف فأسقط السبب الخفيف فصارت مفاعل، و من العروضيين من يبقيها على هذا الوضع للمح الأصل و منهم من ينقلها الى فعولن فيصبح الوزن المستعمل الوافر كالآتي :مفاعلتن، مفاعلتن - فعولن

و الحذف قد يصيب الوتد مجموعًا كان أم مفروقًا، كما يصيب السبب الخفيف فتصير متفاعلن مثلاً متفا، و تصير مفعولات مفعُو، كما قد تكون علة النقصان بإسكان السابع المتحرك فتصير مفعولاتُ/ مفعولاتْ، أو بحذفه فتصبح مفعولات/مفعولا . " 13

والفروع المعلولة و المزاحفة عند أبي الحسن العروضي كما يلي:

فعولن -فعول -و فعلن -و فِعْلْ - و فَعْلْ - و فلْ - و مفاعيل -و مفاعلن -وفعلاتن -و فعلاتُ - و فاعلتان -و فعلتان -و فاعلان -و مفتعلن -و فعلتن -و

مستفعلن -مفاعلن -و مستفعلان -و مفاعلان -و مفتعلان -و فعلتان -و فعولن -و

مفعولن -و متفاعلان -و مفاعلتان -و مفتعلاتن -و مستفعلاتن -و مفاعلاتن -و

متفاعلاتان -و مفعولات -و فعلان " 14

و هذا الكلام يُفسر علتا رفض الخليل للتفاعيل الثنائية و الثلاثية و الرباعية و بعض من الخماسية و السداسية، لأن هذه الأخيرة هي فروع للأصول الخماسية و السباعية.

3-طبيعة الأصول المهملة:

لقد عرفت الأصول المهملة في علم العروض استحسانًا لدى بعض العروضيين قدماء و محدثين كما لقيت استهجانًا وصل إلى حدٍّ الثورة عليها و رفض وجودها من الأصل عند بعضهم الآخر، فقد أورد الشيخ محمد بن علي الصّبان رفض أحد العرضيين الدوائر دون أن يذكر إسمه ثم قام بنفيها حيث قال: " وأنكرَ بعضُ النَّاس نظام الدوائر أصلاً، و جعل كل شعر قائمًا بنفسه، و أنكر أن تكون العرب قصدت شيئًا من ذلك، و قال إنما سمعناهم نطقوا بالمديد مسدسًا وبعروض الطويل (مفاعلن)، و بعروض البسيط (فعلن)، و بعروض الوافر (فعولن) وبالهزج و المضارع و المقتضب، و المجتث مربعات و من أينلنا أن ندرك أنّ الأصل في المديد التثمين، و أصل عروض الطويل (مفاعيلن) ، و أصل عروض البسيط (فاعلن) و أصل عروض الوافر (مفاعلتن)، و أصل الهزج و المضارع و المقتضب و المجتث التسديس إلى غير ذلك ... و الأكثرون على خلاف هذا لأن حصر جميع

الشعر في الدوائر المذكورة، دلَّ على ما اختص الله به العرب دون من عداهم فكان ذلك سرًا مكتتما في طباعهم أطلعَ اللهُ عليه الخليل، و اختصه بإلهام ذلك، و إن لم يشعروا به، و لانوَوْه، كما لم يشعروا بقواعد النَّحو و التصريف و إنما ذلك مما فطرهم الله تعالى عليه، فالتثمين في المديد و التسديد في الهزج مثلاً و نحوهما من الأصول التي رفضها العرب كما رفضوا أصولاً كثيرة من كلامهم على ما تقرر في علم العربية و إذا تطرق الشك في ذلك إلى الشعر تطرق إلى الكلام فيفسد باب كبير من علم العربية و لا يخفى فساده"15 فالشيخ الصبان يربط وجود الأصول المقدرة في علم العروض بالأصول المقدرة في علمي النَّحو و الصرف، فإذا رفضناها في العروض وجب نفيها في النحو و الصرف، و لو حصل هذا لفسد باب كبير في علم العربية.

و يعتبر حازم القرطاجني أكثر ما بني على نظام الدوائر العروضية على شفا جرف هارٍ و هو يعلل سبب نفور بعض العروضيين من نظام الدوائر فيقول: " فلهذا وجب أن يعتقد أن هذه الانفكاكات التي لهذه الأعاريض من الدوائر عارضة ... و لذلك لم يقل بها كثير من العروضيين و من أوردها فإنما أوردها على أنها ملحة عروضية لحقت الأوزان اتفاقًا، لأنها حقيقية بنيت عليها الأعاريض وضعا واعتمادًا" 16

هذا بعض مما رآه العروضيون القدماء في الدوائر، أمّا العروضيون المحدثون فقد وقفوا منها موقفين تراوحا بين الرفض و القبول لها :حيث رآها محمد العياشي بعيدة كل البعد عن العمل العلمي بل تشبه طلاسم السحرة، فيقول: " إنّ الدوائر الخليلية ليست من العمل العلمي الجدي في شيء، لأن العمل العلمي هو الذي يقوم على القواعد المضبوطة، و الحقائق الثابتة، فالخليل لم يرسم الدوائر إلا ليكون لعلم العروض ناموس كالذي لعلم السحر، و أسرار الحروف و الطلاسم، لقد أحس الخليل بنقص عمله و فساد طريقته فراح يخترع لعبة الدوائر ليكسوه ثوب وقار مصطنع، و عجبي لهذا العلم كيف قام طيلة مئات السنين على شفا جرف هارٍ من غير أن يتداعى أو ينهار".17

و يعترض أيضا إبراهيم أنيس منهج الخليل في كتابه موسيقى الشعر إذ يقول : " لقد نهج الخليل في عروضه نهجًا خاصًا غير مؤسس على الأسس العلمية من الناحية الصوتية، و إننا حين نحلل ما سماه بالتفاعيل باحثين عن الأسس التي يخضع لها نصطدم بأمور متناقضة فيها ناحية صناعية بعيدة عن الناحية الموسيقية و الترتيب المقطعي للكلام، فنحن نراه قد جعل من مستفعلن تفعيلتين، و من فاعلاتن تفعيلتين حرصًا على أسبابه و أوتاده و ما يصيبهما حسب تقسيمه من زحافات و علل، و الحقيقة ان مستفعلن سواء كتبت هكذا أو صورت في

صورة أخرى مثل مستفع لن، فهي من الناحية الصوتية كما يحللها العلم

الحديث بمقاييسه الحديثة،ويظهر ان الخلو اصحابه قد تاثروا الى حد كبير بمقاييس علم الصرف , فاتخذوا رموز الصرف رموزًا للعروض مع فارق تافهٍ يدركه كل منا و يدرك سره" 18 و قد ردّ على هؤلاء العروضيين الرافضين لمنهج الخليل و دوائره عروضيون منتصرون له مدافعون عنه، و من بين هؤلاء مصطفى حركات الذي يرى أن تقييم ابراهيم أنيس لعمل الخليل مبنيٌّ على سوء فهم فلما قال إبراهيم أنيس عن منهج الخليل بأنه غير مؤسس على الأسس العلمية من الناحية الصوتية ردَّ عليه حركات بقوله :" الأسس العلمية التي يتكلم عنها غير واردة في كتاباته" .19 و مرة أخرى يرد مصطفى حركات على إبراهيم أنيس حين يصف التفعيلتين (مستفعلن – و مستفع لن) بأنهما من الناحية الصوتية أمر واحد كما لسنا في حاجة لأي علم جديد و لأي : « يحللها العلم الحديث بمقاييسه الحديثة قائلاً مقياس حديث لإدراك تطابق التفعيلتين من الناحية الصوتية ... و لم يكن العلماء القدماء من الجهل بأنهم اعتقدوا العكس، و قد حلل الدمنهوري بصفة واضحة إذ قال :أنهما متطابقتان في النطق و مختلفتان في التركيب ".

و لم يكتف العروضيون برفض المهمل فحسب بل تعدى رفضهم إلى البحور الشعرية و الدوائر العروضية.

و خلاصة القول أنَّ الخليل عند استخراجه لتلك الأصول المهملة من تفاعيل و من أصول البحور مسدسة و مثمنة لا تكتمل إلا في أصل الوضع و من بحور مهملة إستخرجها من دوائره العروضية ما كان يهدف بذلك إلا لبناء نظرية متكاملة قائمة على أسس علمية و رياضية في اللغة العربية نحوها و صرفها و عروضها و معاجمها.

مخلص باللغة الفرنسية

- Kalile Bene Ahmed ALFARAHIDI il conclue

les ondines

oriones utilise dans sensé poétique et

segllojisne a combinatoire

ils premier et ouvrier la porte probabilité

mantique, et fonder le

méthode matique, et croire dans possible et

impossible, dans

sense poétique et s’insinuer a toute

amerrissiez se séparer les

touts amerrissages possible et impossible,

est autres utilisateur a

concilier pour rosetloierunier est retournage

les utiles.

الهوامش:

[1]– خلفان بن ناصر: رؤية خاصة حول الدوائر العروضية، 2007-03-03 www.hizawa.com

[2]– عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية_المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية– الجزائر، ج2007،2،ص70

[3]– خلفان بن ناصر–رؤية خاصة حول الدوائر العروضية، 2007-03-03 www.hizawa.com

– *التفعيلة عند مصطفى حركات بالنظر إلى وظيفتها هي "الوحدة التكرارية في البيت /" و بالنظر الى شكلها فهي تتكون من " أسباب و أوتاد و تحتوي كل منها على وتد و سبب أو سببين "أنظر د .مصطفى حركات – نظريتي في تقطيع

.الشعر – دار الآفاق –الأبيار –الجزائر – د ط – *** . ص40

-البحر عند العروضين " تكرار الجزء بوجه شعري أو تكرار التفاعيل بوجه شعري، و سمى البحر بحرًا لأنه يوزن
به ما لا يتناهى من الشعر، فأشبه البحر الذي لا يتناهى بما يغترف منه"
عبد الحميد السيد -الطريق المعبد إلى علمي الخليل بن أحمد – المكتبة الأزهرية للتراث -ط1-2000- ص 80 .

1- ابن رشيق القيرواني – كتاب العمدة في نقد الشعر -شرحه د .عفيف فايق حاطوم -دار صادر – بيروت – لبنان -ط2
ص121 .

– د.عقيل مرغي-القريب أم المتدارك – دار القلم العربي-حلب.سوريا-ط1-2004[5]-ص22-23

[6]-أبو يعقوب السكاكي-مفتاح العلوم-حققه د. عبد الحميد الهنداوي- دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان-ط1-2001-ص 685.

[7]- أحمد محمد وريث-حول النظائر الايقاعية في الشعر العربي- المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الاعلان-ليبيا- طرابلس-ط1-1985-ص195 .

[8]- عبد الرحمان الحاج صالح-بحوث و دراسات في اللسانيات العربية- ص75 .

[9]-بن لعلام مخلوف-الأصول المقدرة غير المستعملة في النحو العربي- مجلة نبيين-العدد 22- 2004 – ص 124 .

[10]-ابو الحسن العروضي – الجامع في العروض و الوافي – تحقيق-د.زهير غازي زاهد و آخرون – دار الجبل – بيروت- ط1 – 1996 – ص 198 .

[11]- ابن عبد ربه الأندلسي-العقد الفريد- شرحه أحمد امين و آخرون-دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان-1982-426/5 .

[12]– ابو الحسن العروضي–الجامع في العروض و القوافي – 200

[13]–عبد العزيز عنقيد–علم العروض و القافية–دار الآفاق العربي–القاهرة–ط1–2006–ص146–149 .

[14]–ابو الحسن العروضي–الجامع في العروض و القوافي–ص210–211 .

[15]–الشيخ محمد بن علي الصبان الشافعي–شرح الصبان على منظومته في علم العروض و هي الكافية الشافية في علمي العروض و القافية–المطبعة الخيرية–القاهرة–ط2– 1321 هـ – ص 16 _ 20 .

[16]–ابو الحسن القرطاجي–منهاج البلغاء و سراج الأدباء–تحقيق محمد الجبيت بن الخوخة – دار العرب الاسلامي– بيروت–لبنان–ط1–1981–ص 232 .

[17]–محمد العياشي–نظرية إيقاع الشعر العربي–المطبعة العصرية–تونس–1976 – ص 76_77 .

[18]– إبراهيم أنيس–موسيقى الشعر– مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – مصر – ط 3 – 1965–ص52–53 .

[19]–مصطفى حركات–نظريات الشعر – دار الآفاق – الجزائر– ص 1083 .